مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها

الموقع الإلكتروني: https://uqu.edu.sa/jll

استراتيجياتُ الاحتيالِ في خطابِ الاحتلال؛ قراءةٌ في منشورِ نابليون بونابرت إبّانَ الحملةِ الفرنسيةِ على مِصْرَ (1798م–1801م)

Deception Strategies in Occupation Discourse: An Analysis of Napoleon Bonaparte's Discourse during the French Campaign in Egypt (1798-1801)

د. هاني علي سعيد محمد*

أستاذ مساعد البلاغة والنقد، بقسم اللغة العربية، كلية اللغات والعلوم الإنسانية، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية

Dr. Hany Ali Said Muhammed*

Assistant Professor of Rhetoric & Criticism, Department of Arabic Language, College of Languages Human Sciences, Qassim University, Kingdom of Saudi Arabia

تاريخ التقديم: 25/12/2023 تاريخ ارسال التعديلات: 22/1/2024 تاريخ القبول:25/1/2024

Received:25/12/2023 Revised:22/01/2024 Accepted: 25/01/2024

الملخص:

جاء هذا البحث تحت عنوان:"استراتيجيات الاحتيال في خطاب الاحتلال؛ قراءة في منشور نابليون بونابرت إبان الحملة الفرنسية على مصر(1798م–1801م)" وعَبْرَ قراءة مستوحاة من مناهج تحليل الخطاب قدَّمنا قراءة لهذا المنشور بوصفه مصنفا ضمن الخطابات السياسية التي لها خطرُها، فابتدرنا بتحديد السياقات المختلفة التي احتضنَتْ الخطاب، وكذلك الأطراف المتشاركة فيه، ثم عنى البحث بالكشف عن استراتيجيات الاحتيال، التي توزَّعتْ فيما بين استراتيجيات منشِئة للخطاب الاحتيالي، مثل: إعادة بناء السياق، والصمت، وقناع الدين، والاستمالات. أما النوع الثاني من هذه الاستراتيجيات، فتمثَّلَ في المغالطات الحجاجية، التي زخر بها الخطاب، ومنها: مغالطة السلطة، والقوة، والتدليل، والتهوين، وكان من أبرز النتائج التي خرج بها البحث أن خطابَ نابليون خطابٌ انتهازيٌّ احتياليٌّ، قد يكون خداعه قد انطلى على المخاطبَين به في البداية، لكنه فشل في تحقيق وظائفه؛ لخرقه مبادئ التحاور، وقيامه على التغليط والخداع.

الكلمات المفتاحية: نابليون، منشور، الحملة الفرنسية، المغالطات، الحجاج، الاحتيال.

Abstract:

This paper entitled "Deception Strategies in Occupation Discourse: An Analysis of Napoleon Bonaparte's Discourse during the French Campaign in Egypt (1798-1801)" investigates Napoleon Bonaparte's discourse as a dangerous political practice through a reading inspired by Critical Discourse Analysis (CDA) methodologies. It begins with identifying the contexts that embraced Bonaparte's discourse and the participating parties. Then, it focuses on revealing the deception strategies employed: a) strategies creating the deceptive discourse, such as context reconstruction, silence, religious masks, and seductions, and b) fallacies, including fallacies of authority, power, evidence, and trivialization. One of the paper's main findings is that Napoleon's discourse was opportunistic and deceptive. It may have initially deceived its audience but failed to fulfill its functions due to violating the principles of dialogue and relying on distortion and deception.

Keywords: Prophecy, Napoleon, Address, French Campaign, Fallacies, Argumentation, Deception.

***المؤلف المراسل:** د. هاني علي سعيد محمد

البريد الالكتروني الرسمي : h.mohmed@qu.edu.sa

Doi: https://doi.org/10.54940/ll13727712

1658-8126 / © 2024 by the Authors.

Published by ***J. Umm Al-Qura Univ. Lang. Sci. and Lit.***

مُقَدَّمَة

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحاتُ، وبجوده ومَنِّه تحصلُ البركاتُ، وأصلّي وأسلّم على النبي الخاتمِ محمّدٍ- صلى الله عليه وسلم- أتمَّ وأفضلَ الصلواتِ، وبعدُ :

فإن الخطابات التي واكبت الأحداث الكبرى في مجرى تاريخ البشرية تعدُّ من أنجع الخطابات للدراسةِ وَفق منهج تحليل الخطاب، وذلك لما لهذا المنهج من قدرة على تفكيك هذه الخطابات إلى عناصرها الصغرى، وإعادة قراءتها في ضوء السياقات التي أنتجتها.

وإذا كانتِ المعاصرةُ حجابًا، فإن خطابَ نابليون بونابرت إبّان الحملة الفرنسية على مصر لا يقع تحت طائل هذه المقولة، وذلك لذهاب صفة المعاصرة عنه، ولوقوعه تحت مجهر دراسات التاريخ الموضوعيّ المحايد، الذي كشف عن وثائق هذه الحملة، وقدّم لنا شهاداتٍ من واقع هذه الوثائق حملت حقائقَ كانت مطمورةً وقت المعاصرة، فلمّا كُشف عنها الغطاء صار بصرُ الناقد والدارس بها حديدًا.

وفي ضوء منهجيةٍ مستوحاةٍ من مناهج تحليل الخطاب ومداخله نتناول مجموعة الاستراتيجيات التي احتال بها نابليون؛ ليضع قدم حملته في مصر أولًا، وتمهيدًا لترسيخ احتلاله ثانيًا. ومن المعلوم أن الخطاب يُعدُّ ممارسة اجتماعية لا تقف عند حدود الجملة وحدها، وإنما تتفاعل فيه سياقاتٌ مختلفةٌ، كما تتداخل في تحليله معارفُ مختلفةٌ ثقافيةٌ، ونفسيةٌ، واجتماعيةٌ، وغيرها.

إن القارئ الحصيف ربما رمى هذا البحثَ بعدم الدقة، حين يرى أن وصف خطاب نابليون بالمحتال في العنوان يُعَدّ نتيجةً كانت في حاجة إلى التحرّي البحثيّ قبل حضورها في عنوان هذا البحث. ولهذا القارئ نقول: إن إدخالَ خطاب نابليون في دائرة الاحتيال أمرٌ مقطوعٌ به، ولا يحتاج إلى تدقيقٍ بحثيّ بعد أن أثبتته وثائق التاريخ الصحيح لهذه الحملة، بل نذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، أن نابليون نفسه شخصٌ محتالٌ من الطِّراز الرفيع، وقد اعترف في خطاباته بهذا، وهو ما سندرجه ضمن سياقات هذا البحث.

ومن هنا، فإن هذا البحث يَعْبُر إلى مجموعة الاستراتيجيات التي توسّدها نابليون في تحقيق مآربه السياسية والعسكرية بوصفها استراتيجياتٍ احتياليةً، وتوظيف كلمة "استراتيجيات" -وهي كلمةٌ عسكريةٌ في الأساس- داخل العنوان يرمي إلى تلك العناية الخاصة التي تكون للخطاب الكلامي جنبًا إلى جنبٍ مع تلك الاستراتيجيات الحربية والعسكرية، بل إنْ شئنا الدقة لقلنا إن خطاب نابليون لم يكن جنبًا إلى جنبٍ مع الاستراتيجيات العسكرية، بل قد كان سابقًا عليها، وقد حكتْ المروياتُ التاريخيةُ أنه حينما تحرك نابليون في سنة (1798م) من ميناء طولون الفرنسي متوجّهًا إلى مصرَ على متن أسطولٍ مكوّنٍ من خمسٍ وخمسين سفينة، كان يحمل معه آلات الطباعة، وكان قد أعدَّ خطابه على متن إحدى هذه السفن، وأمر أن تطبع منه الآلاف من النسخ؛ حتى تكون جاهزةً للتوزيع فور وصوله إلى الإسكندرية.

أسباب اختيار موضوع البحث

الحقّ أن الذي حدا بي لتناول هذا الخطاب بالتحليل والدراسة مجموعة من الأسباب، على رأسها: أن بعض الباحثين بل الهيئات والمؤسسات قد انطلت عليهم حيل نابليون، فمنهم مَن عدّه مسلمًا صحيح الإسلام، وعدّ حملته حملة تنوير، مُتعاميًا عن كُتَل الاحتيال الواردة في خطابه، فتأتي هذه الدراسة لتفكك هذه الكتل، وتجعلها قابلةً للدحض والنفي، وتُبِيْنُ عن زيفها. وإلى جانب هذا السبب تأتي أهمية دراسة هذا الخطاب – تحديدًا- منبثقةً من أهمية موقعه من التاريخ، فلقد كانت حملةُ نابليون هي أولَ حملةٍ تصل إلى الشرق منذ الحملات الصليبية، كما أن الخطابَ يُعد مركزًا لتشابك خطاباتِ قوىً سياسيةٍ متصارعةٍ في ذلك الوقت، مثل خطاب الإنجليز، وخطاب المماليك، والخطاب الدينيّ الذي مثله رجالاتُ الأزهر، وخطاب الإمبراطورية العثمانية، وهو ما يجعله خطابًا فارقًا يستحق الدراسة، وأخيرًا يعترف الباحث أن الدراسات من هذا النوع باتت مُهمّةً؛ لفضح السياسات المسماة (استعمارية) زُورًا، وهي سياسات احتلال وهيمنة، تحتاج من الباحثين أن يميطوا اللثام عن زيفها؛ لأن الذي يُخدع مرة من الممكن أن يُخدع مراتٍ ومراتٍ، فها هي الحملة الفرنسية صُنّفت بأنها حملة تنوير في كثير من الأدبيات، في حين يبتّ التاريخ ووثائقه الصحيحة أنها استترت بستار التنوير؛ لتبتني إمبراطوريةً لها في الشرق ليس إلا!

مشكلة البحث

تظهر مشكلة البحث في أنه على الرغم من الإرث التاريخي الضخم، الذي أُلِّف حول الحملة الفرنسية وقائدها نابليون، فإن كثيرًا من الدراسات — على حد علمنا-، التي تناولتْ هذا الإرث لم تقم بتفكيك خطابات هذه الحملة، ومن هنا فإن البحث يفنّد أحد هذه الخطابات المهمة؛ لبيان ما تشتمل عليه من مغالطات.

أهداف البحث

ولذلك كله فإن الهدف من هذه الدراسة يتركز في:

-الرد على الدراسات التي أثبتت صدق خطاب نابليون، وتفنيد هذه الآراء من خلال قراءة خطابه وفق منهجية تحليل الخطاب.

-الكشف عن مجموعة الاستراتيجيات التي تذرَّع بها نابليون؛ لإنجاح حملته على مصر.

-نبش المرويات التاريخية المتعالقة مع الخطاب، ودراستها وَفق سياقاتها المختلفة.

-استقصاء العلاقة بين الخطاب والسلطة السياسية والعسكرية من جهة، والخطاب والسلطة الدينية من جهة أخرى.

-فضح الممارسات المغالطة في علاقة الدين بالسلطة، واستغلال نابليون للدين في تمرير مآربه وتثبيت خداعه .

الدراسات السابقة

لم نلفَ أية دراسة تناولت منشور نابليون، الذي يُعدُّ مدونةَ بحثنا، وَفق منهج تحليل الخطاب، وإنما عثرنا على دراستين إحداهما تاريخية عنوانها: " قراءة في منشور بونابرت للمصريين عام 1798م، للباحث: رأفت غنيمي

حفني، منشور بكتاب المؤتمر الدولي الثالث: العلاقات المصرية الفرنسية عبر العصور، وقد انعقد بجامعة قناة السويس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،عام 2011م. أما البحث الآخر، فقدم لمنشور نابليون دراسةً حضاريةً، عنوانها: "منشور نابليون بونابرت للمصريين عام 1798م، دراسة حضارية، للدكتور ناجي عبد الباسط هدهود، والمنشور بمجلة كلية الآداب جامعة المنصورة بمصر، في عددها(36)، يناير (2005م). وسوف نعمل على الإفادة من الدراستين في بحثنا.

منهج البحث

تأتي منهجيةُ البحث معتمدةً على قراءةٍ مستوحاةٍ من منهج تحليل الخطاب ومداخله المختلفة، التي منها ما يُعْنَى بالحدث الخطابي بوصفه نصًّا، وممارسةً خطابيةً، وممارسةً اجتماعيةً؛ وهو ما يعني تعدّد مداخل التحليل، التي تتوجه إلى لغته، وطرق إنتاجه وسياقه، والمؤثرات الفاعلة في تشكيل وظائفه، وهذه الشمولية جعلت ضمن اهتماماته، أيضا، دراسة العلاقة فيما بين الخطاب والسلطة، كما يسعى لاستقصاء الأساليب التي تعمد السلطة من خلالها إلى فرض سيطرتها، والتغيير في الواقع من حولها، وذلك من خلال التحليل النقدي للخطاب. ولمّا كانت طبيعة البحث تقع داخل إطار الكشف عن استراتيجيات الاحتيال، التي حاول نابليون أن يحقق من خلالها أغراضه العسكرية، فقد أُضيفت عدةُ مقارباتٍ وإجراءاتٍ من شأنها أن تساعد في تحليل هذا الخطاب، من مثل: المغالطات الحجاجية، والتلاعب، والاستمالات.

ولا مرية في أن من صعوبات هذا البحث اشتمال موضوعه على سرديات تاريخية موسّعة عربية وأجنبية درست الحملة الفرنسية وقائدها بونابرت، وهو ما كان تحديًا صعبًا، ولعل البحث قد حاول لملمة السياقات المختلفة، والإفادة منها في التحليل.

خُطة البحث

تتجرد خطة هذا البحث في مقدمةٍ ومطلبين، يأتي المطلب الأول ليتناول سياقات الخطاب المختلفة والأطراف المتشاركة في إنتاجه وتداوله، في حين ندرس في المطلب الثاني استراتيجيات الاحتيال، وتتوزع في استراتيجيات منشئة للخطاب، وأخرى تقوم على المغالطات الحجاجية. ونُرِدف – أخيرًا– هذين المطلبين بملحق نُثبت فيه منشور نابليون، كما ورد في كتاب عجائب الآثار للجبرتي، ثم الخاتمة ونتائج البحث، وثبَت المصادر والمراجع التي استندنا إليها في إنجازه.

المطلب الأول: سياق خطاب (منشور)[*] نابليون.

إن من أبسط مفاهيم الخطاب ذلك المفهوم الذي يَعُدُّ الخطاب:"كلّ إنتاجٍ لُغويّ يُشكّل وحدةً تواصليةً"[1]، ولعل خطاب نابليون الذي عُبّر عنه في وثائق التاريخ بوصف (منشور)، يشير إلى الغرض منه؛ إذ إنه كُتب ليُنشر، كما دلّت كلمة (منشور) على ما هُيّئ له من إعدادٍ مُسبقٍ؛ لتحقيق غايات منتقاةٍ بعناية، ولكي نفهم هذه الغايات والوظائف، فإنه يستوجب علينا أن نتناول مجموعةَ السياقات الحافة بهذا المنشور، وتحديد مُنْتِج – أو منتجي– الخطاب، وكذلك تحديد المخاطَبين به.

(1) السياق الزماني والمكاني للخطاب

طرحت بعض المدونات التاريخية ما يفيد أن قرار غزو الحملة الفرنسية لمصر سنة 1798م كان قرارًا مفاجئًا، وأن نابليون أُختير لقيادة هذه الحملة هكذا خبطَ عشواء، فالمدقق في الوثائق التاريخية ستنبني لديه معرفةٌ موثقةٌ مفادها: أن فرنسا خططت لغزو مصر، وأن نابليون بونابرت كان يدرس تاريخ الشرق وتاريخ مصر بنفسه، وهو ما أثبتته الكتب المتعلقة بالشرق، التي كانت في مكتبة ميلانو سنة 1797م، وقد عُثر فيها على تعليقات وهوامش بخط نابليون [**]، كما أنه كان على تواصل مع صديقه الكونت فولني Count of Volney الذي زار الشرق ومصر بداية من عام 1788م، وقدّم لنابليون تقريرا يقول:" إن من يغزو مصر مضطرٌ إلى شن حربٍ على ثلاث جبهاتٍ: الجبهة الأولى ضد البريطانيين، والجبهة الثانية ضد الإمبراطورية العثمانية، والثالثة – وهي الجبهة الأكثر خطورةً– ضد أهل مصر من المسلمين" [2]، ولعل هذا الإكبار لمكانة أهل مصر مردُّه ما يعلمه "نابليون" و" فولبني" معًا أنه ليس للفرنسيين حظٌّ في غزو مصر، وأن فرنسا التي مُنيت بالهزيمة في القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر وفشلت فشلًا ذريعًا، كان أهمه ما حدث مع حملة لويس التاسع، لن يجعل من مهمة غزو جديد لمصر سهلًا.

إن فرنسا قُبيل الحملة كانت قد تفوقت تفوقًا مهولًا في أوروبا بعدما انتصرت على النمسا، وتحالفت مع هولندا، وسيطرت على أجزاء واسعة من إيطاليا، وقد ظل اسم نابليون في كل هذه الانتصارات لامعًا، وكان من المعد له سلفًا أن يتقدم نابليون لغزو بريطانيا في ذلك الوقت، لكن قوة الأسطول البريطاني، واستحالة مواجهة الجزر البريطانية عبر بحر المانش، بالإضافة إلى الفشل في تمويل هذا الغزو آنئذٍ، كل هذه الأسباب جعلته

(*) ينظر للمنشور كاملا: الجبرتي، عبد الرحمن: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٨، الجزء 3، ص4، 5. وقد وردت نسخة من أصل المنشور (مصورة) باللغتين العربية والفرنسية في ملاحق بحث عنوانه: منشور نابليون بونابرت للمصريين عام 1798م، دراسة حضارية، للدكتور ناجي عبد الباسط هدهود، مجلة كلية الآداب جامعة المنصورة بمصر، مجلة علمية محكمة، ع(36) يناير (2005)، صص (661-682)،ص 678. والثابت تاريخيا أن المنشور كتب باللغة الفرنسية أولا، ثم ترجمه المستشرقون أمثال فانتور ومارسيل، وقد جاءت ترجمته ركيكة مشتملة على عدد من الأخطاء اللغوية، كما جاءت النسخة العربية مختلفة في بعض مواضعها عن النسخة الفرنسية.

(**) حول هذه الحقائق وغيرها ينظر: علم الهدى حماد: استقصاء حقائق حملة نابليون على مصر، مجلة التوباد، تصدر عن الجمعية السعودية للثقافة والفنون، الرياض، مجلة علمية محكمة، ع13، ربيع أول 1412هـ-1991، ص ص(125- 129) ص125.

يتوجه إلى الشرق في محاولة لتقويض الوجود البريطاني، والسيطرة على مصر مما يضمن له التحكم في ممرات الملاحة العالمية.[3]

وفي خضم هذه السياقات عقد نابليون الذي لم يكمل العقد الثالث من عمره آنئذ- العزمَ على توجيه حملة لغزو مصر، وذلك في سريةٍ تامّةٍ لا يعرف عنها البريطانيون ولا الجنود الفرنسيون البالغ عددهم أربعون ألفًا- شيئًا، وقد تحركت الحملة في الثامن عشر من مايو سنة 1798م، على متن أسطولٍ ضخم، وقد حرص نابليون على وجود مكتبةٍ للحملة على متن الأسطول إلى جانب عددٍ كبيرٍ من العلماء والشعراء والرسامين الفرنسيين، وقد هاجموا في طريقهم جزيرة مالطة واستولوا عليها في التاسع من يونيو، ثم رحلوا عنها في التاسع عشر من الشهر نفسه؛ ليصلوا بعدها إلى ثغر الإسكندرية في الثلاثين من هذا الشهر، وقد عمل نابليون على إعداد منشوره إلى المصريين باللغة الفرنسية ثم تُرجم إلى العربية وهم على متن الأسطول، وطَبعتْ آلات الطباعة التي اصطحبوها معهم آلاف النسخ بأمر من نابليون؛ تمهيدا لتوزيعها على المصريين فور وصول الحملة.

أما مصر فكانت ترزح منذ عام 1517م تحت حكم العثمانيين، الذي كان قويًّا مهيبًا في بدايته، لكنه تحول في الآونة الأخيرة إلى الضعف، مما جعل الحكم الفعليّ للمماليك، الذي امتد حتى قدوم الحملة الفرنسية، وكان حكمهم لمصر بالحديد والنار، فأذاقوا المصريين صنوفًا من الفقر والضرائب المهلكة، بالإضافة إلى تقييد الحريات ومصادرة الأملاك[4]، وقد كان حكم مصر عند وصول الحملة الفرنسية يتوزع فيما بين إبراهيم بك ومراد بك، اللَّذَيْن حكما مصر معًا بعد وفاة علي بك الكبير سنة 1775م.

(2) السياق السيكولوجي للجنرال بونابرت

يُعرّف السياق بأنه:"بيئة الكلام ومحيطه وقرائنه"[5] وبالنسبة للخطاب، فهو كل ما أحاط بعملية إنتاجه، ونقصد بالجانب السيكولوجي للسياق مجموعة الخصال النفسية لمنشئ الخطاب(بونابرت)، وأثرها في توجيه دلالته، وذلك على أساس أن مصطلح (سيكولوجي) يُقصد به:"دراسة الذات كما تكشف عن نفسها في العمل والنشاط"[6]

وبالنظر إلى السياق النفسيّ لبونابرت، نقول: لو تمثّلت الانتهازية بشرًا لَمَا حلّت إلا في شخص نابليون بونابرت (1729-1821م)، وقد استفاض مكيافيللي في كتابه (الأمير) في سرد صفات الشخص السيكوباتي الانتهازي[7]، فهو "شخص استعراضي غير أمين، مخادع وأناني، سعيه وتفكيره الدائم في الظهور وتحقيق الشهرة...مع مهارته في استخدام الدين كوسيلة لخداع الآخرين..." [8] وبمتابعة سيرة نابليون نلفى هذا الجنرال الذي ولد في طبقةٍ فقيرةٍ لأسرةٍ من النبلاء، ما إن شبّ عن الطوق حتى أخذ يتلقف الفرص مرةً بعد أخرى، لا يهمه في هذا التلقف سوى الانحدار إلى أعلى من أجل تحقيق طموحات الزعامة، التي كان يتميز بخصالها، فكان يوصف بقدرةٍ مخيفةٍ على التركيز، ولديه قوةٌ عجيبةٌ على تحمُّل العمل الشاق، ولكنه في الوقت نفسه تميّز بفظاظةٍ منقطعة النظير، كما كان صريحًا في جميع مناسباته[9]، وكان من مظاهر انتهازيته أنه أقبل يؤلف جيشه من طبقة الفلاحين، الذين قاموا بالثورة الفرنسية، في حين كانت الجيوش الأوربية تعجُّ بالمرتزقة، وهو وإن كان ذكاءً منه، فإنه ذكاء مشوبٌ بخبثٍ؛ إذ كانت له عينٌ مع الثورة وعينٌ ضدها، فكأنه أراد أن يُفني هؤلاء الفلاحين من أصحاب المبادئ حين يخوض بهم حروبه، فيحقق بهم مجدًا يحسب له، وفي الوقت نفسه يضعف جبهة من يمثلون مبادئ الثورة، فيكون بذلك في الكِفّة الراجحة في حال تعثرت الثورة يومًا في تحقيق أهدافها، وقد ظهر ذلك في أنه كان دائمًا ما يخاطب جيشه، بقوله:" إنكم عراة، وحفاة، وجياع..."[10] امتهانا لهم. ومن مظاهر هذه الانتهازية- أيضا- زواجه من جوزمين بوهارنيه، التي اتخذها تُكأة؛ ليتعرف من خلالها إلى شخصياتٍ متنفّذةٍ مهّدت له أن يتقلد قيادة أحد الجيوش الفرنسية التي حاربت في إيطاليا.

ولقد ظلّتْ هذه الانتهازية ملازمةً لنابليون حتى أحداث حملته على مصر، فحين فشل في فتح عكا، وهُزم أسطوله من الإنجليز في معركة أبي قير، ورأى أن آماله في مصر تتبخر، تعلل بأن الأوضاع في فرنسا تتحول من سيّئٍ إلى أسوأ، وترك قيادة الحملة لكليبر، وغادر ليلًا من القاهرة خلسةً متجهًا إلى الإسكندرية، ومنها إلى فرنسا في الثامن عشر من أغسطس لعام 1799م؛ مدعيا أنه قد رحل لإنقاذ الوطن، وهنالك نجح في تدبير انقلابٍ تقلّد بعده السلطة.[11]

وإنَّ من تمام ما تتصف به الشخصية الانتهازية إلى جانب المكر والخديعة هو القسوة المفرطة، وقد وثق التاريخ عدة جرائم ارتكبها نابليون في حياته العسكرية، منها مجزرة مدينة (بافيا) الإيطالية، وارتكابه مجازر في حق النساء والأطفال الذين احتموا بالمساجد في الإسكندرية بحجة مقاومتهم للحملة، وكذلك مجزرة (يافا) رغم استسلام حاميتها، ورغم إعطائه إياهم الوعد بالأمان، لكنه ارتكب في أهلها مذبحةً مروعةً[12].

أما تلاعبه بالعقول من أجل السيطرة عليها، واتخاذ الدين قناعًا فحدّثْ ولا حرج، وهو ما سنتناوله في تحليل استراتيجيات الاحتيال في المنشور.

(3) السياق وتحديد الأطراف الفاعلة في الخطاب

حسب التحديد الذي يقول: إن الفاعلين في إنتاج الخطاب هم "كل مَن يمارس دورا في عملية إنتاج الخطاب وإلقائه وتداوله والتأثر به"[13]، فَوَفق هذا التحديد يمثل نابليون الفاعل الرئيس في إنتاج الخطاب، والمعنِيّ الأول بتحقيق ما جاء فيه، لكنه بالطبع لا يُعَدُّ الفاعل الوحيد، فنابليون صوتٌ يبتلع في جوقته أصوات السلطة الفرنسية، ولكنه بموجب التكليف الذي كلف به يتحمل التبعات الأولى حال فشل الخطاب، والمآثر الناجمة حال نجاحه، ولعل التاريخ يثبت أن من أهم دوافع الحملة إبعاد نابليون عن السلطة في فرنسا في ذلك الوقت؛ خاصةً بعد أن حقّقت عملياته العسكرية في إيطاليا شهرةً أزعجت الحكومة؛ فعملت على إبعاده؛ رغبةً في طمس هذه الشهرة.

ومن المهم هنا أن نثبت هذه الحقيقة المهمة، التي تتعلق بترجمة المنشور؛ إذ أُعِدّ أولًا باللغة الفرنسية، ثم تُرجم على يد المستشرقين، الذين رافقوا نابليون في حملته؛ بهدف دراسة الشرق وعلومه، واستكشاف ما يمكن أن يحقق للحملة أهدافها، وإلى جوارهم وجد مجموعةً من العرب الذين كانوا في جزيرة مالطة، بعد أن وقعوا أسرى في يد الحملة بعد مهاجمة نابليون لها،

يقول الجبرتي:" كانت الفرنسيس حين حلولهم بالإسكندرية كتبوا مرسومًا، وطبعوه، وأرسلوا منه نسخًا إلى البلاد التي يقدمون عليها تطمينًا لها، ووصل هذا المكتوب مع جملة من الأسارى الذين وجدوهم بمالطة، وحضروا صحبتهم، وحضر منهم جملةٌ إلى بولاق، وذلك قبل وصول الفرنسيس بيوم أو بيومين، ومعهم منه عدة نسخ، ومنهم مغاربة، وفيهم جواسيس"[14]، واختلاف النسختين يُعدُّ ضربًا من الاحتيال، سيتعرض له البحث لاحقًا.

أما المخاطَبون بهذا المنشور(الخطاب)، فهم في المقام الأول المصريون، فبحسب نصيحة "الكونت فوليني" التي سبق ذكرها، يُمثّل المصريون الطرفَ الأقوى وإن لم يكن الوحيد؛ لذلك فالمنشور الذي أعدّه نابليون يتوجه إليهم في المقام الأول، لكنه في الوقت نفسه يشتمل على مواجهة مع أطرافٍ أخرى بعضها منصوصٌ عليه في المنشور، ويمثلهم المماليك أصحاب السلطة الفعلية في حكم مصر إبان الحملة الفرنسية، وبعضهم الآخر مسكوتٌ عنه، وهم الإنجليز والعثمانيون.

إن سكوت الخطاب عن ذكر الإنجليز صراحة يعدّ حيلةً ذكية من نابليون، وحرصًا منه على عدم استحضار الإنجليز؛ حتى لا يُقيم المصريون معادلةً بين الحملة الفرنسية وبين الإنجليز، الذين كانت لهم أطماعٌ محققةٌ في مصر، تؤول إلى حتمية وضعهم في كِفة واحدة، وهي حقيقةٌ أراد نابليون أن يُغيّبها ولو لبعض الوقت؛ حتى يستتب له الأمر. في حين جاء غياب العثمانيين عن الخطاب غيابًا مقصودًا، وذلك بغرض الحرص على عدم استثارة الإمبراطورية العثمانية مما قد يفتح عليه جبهات اقتتالٍ متعددةٍ، كما اشتمل على اعتراف مؤقتٍ وضمنيّ في الوقت نفسه بضعفها، وأن الحملة الفرنسية ما جاءت إلا لتقيمَ ميزان القوى، وتطرد المماليك عن الاستمتاع بخيرات مصر دون التعرض لسلطة العثمانيين، لكن الأحداث التي تتابعت بعد ذلك فضحت هذا المسكوت، ودخل الفرنسيون في صدام عسكري في عدة مواقع من أحداث الحملة.

وتجدر الإشارة –أيضًا– إلى أن المنشور لا يعُدّ المخاطَبين من الشعب المصري كتلةً خطابيةً واحدةً، لا، بل إن نابليون فتّت هذه الكتلة، وجعل الطرفَ الأهمَّ فيها هم رجالَ الدّين النافذين في الأزهر آنئذ، وقد ردّد نابليون مِرارا في مذكراته خطورة رجال الدّين في استتباب أمر حملته فيما نقله عنه سكرتيره "فوفليه دبوريين"، يقول:" لا تنس أنك كلما جعلتَ الدينَ أو حتّى الخرافة يصطرع مع الحرية، فإن النصر سيُعقد دائما للدين على الحرية في عقل الشعب، إنّ عليّ أن أروضَ الدينَ لا أن أقاومه"[15]، وبذلك يكون قد عمل على ترويض رجال الدين؛ حتى يتمكن من خلالهم– وبهم– في كبح جماح الشعب المصريّ والسيطرة عليهم، كما أفرد لطبقة التجار وبقية طوائف المجتمع الفاعلة جزءًا من خطابه؛ هادفًا إلى تحييدهم والسيطرة على عقولهم.

المطلب الثاني: استراتيجيات الاحتيال في الخطاب

أولا: استرتيجيات الاحتيال المُنشئة للخطاب

(1) استراتيجيّة إعادة بناء السِّياق Re-Contextualization

تتشكل إعادة بناء السياق من خلال:" استخراج جزءٍ من نصٍّ أو خطابٍ أو من نوعٍ معين من النصوص أو الخطابات في سياقٍ ما، ثم إعادة صياغته في سياقٍ آخر؛ ليصبح متوافقًا مع استخدامه وبيئته." [16]، وهي استرتيجيةٌ فاعلةٌ في الخطاب من خلال النقل أو التحويل بإدراج سياق خطابٍ ما؛ لبناء وظائف في خطابٍ جديدٍ، من خلال هذا الاستدعاء السياقيّ.

وفيما يخص خطاب نابليون، فإن ما ورد في منشوره إبان الحملة، كان قد نفّذه في سياقٍ مشابهٍ سابقٍ في حربه، التي خاضها قائدًا للجيش الفرنسي في إيطاليا، وفي هذه الحرب خدع الإيطاليين وأوهمهم أنه ما جاء بجيشه إلا ليحررهم من سطوة النمسويين، فلمَّا انطلت الخدعة عليهم سمحوا له بالدخول، فنكّل بهم وارتكب مجزرةً في مدينة (بافيا)، التي أباحها لجنوده مدة ثلاثة أيام[17]، ثم رجع بالخديعة والمكر نفسه؛ ليسترضيهم بعد ذلك!

وهذا السياق نفسه لكونه حقق مبتغاه فقد استدعاه نابليون من جديد في بناء منشوره الذي خاطب به المصريين؛ موهمًا إياهم بأنه ما جاء إلا ليحررهم من بطش المماليك؛ ظنًّا منه أن الخديعة الواحدة من الممكن أن تتكرر في أحداثٍ متشابهةٍ، وهي مغالطةٌ شرع في التمادى فيها؛ رغم الاختلاف الفعلي فيما بين القوى المتصارعة في إيطاليا، وتلك المتصارعة في الشرق المصري، ولذلك باءت مآربه بالفشل في مصر في نهاية المطاف.

(2) الصمت عن قول كل الحقيقة

يقول "فان دايك" في حديثه عن الصمت الذي يُجبر السلطة المخاطَبين على التزامه:" ليس على الضعفاء ومَنْ ليس لهم سلطةٌ شيء يقولونه، ولا أحدٌ يتحدثون معه، ويجب عليهم الصمت عندما يتحدث أصحاب النفوذ والسلطة"[18]، هذا بالنسبة لسطوة السلطة الممارَسة على الغير، أما فيما يخص تبنّي منشئ الخطاب السلطوي استراتيجية الكذب والاحتيال في انتهاجه إخفاء الحقيقة أو بعضها من خلال تعمّد السكوت عن ذكر بعض القضايا التي قد تورط الخطاب فيما لا يحمد عقباه[19]، فهذا ما تبناه نابليون من احتيالٍ في إنشاء خطابه، والصمت هنا يُعدُّ تغليطًا واحتيالًا؛ لكونه استراتيجيةً أخفى من خلالها بعض الحقائق، من ذلك مثلا: أنه لم يأت على ذكر صراع الانجليز مع الفرنسيين للسيطرة على مصر، كما أنه تحاشى إيراد ما يثير العثمانيين؛ في محاولةٍ لتقليل أعدائه.

ولن نطيل في الاستشهاد هنا على هذه النقطة؛ إذ يكفينا تسجيل مقولة نابليون نفسه عن خطابه فيما بعد فشل الحملة، ورجوعه إلى فرنسا:" إن هذا المنشور قطعةٌ من الدَّجَل"[20]، فهذه المقولة تُسقط الخطاب برمته، وتجعل صاحبه في أعلى درجات المكيافيللية والاحتيال؛ إذ يصير الخطابُ كلُّه ضربا من الدجل والكذب، مما يعني أنه صمت عن قول كل الحقيقة!

(3) ممارسة الإراغة بالتلطيف والاستمالة

تعرف الإراغة بأنها:" إرادة تحقيق هدفٍ أو الوصول إليه بكيفيةٍ خاصةٍ هي المكر والخديعة والحيلة."[21] وإنما يكون ذلك بالملاطفة والاستمالة؛ لذلك نجد ما فعله نابليون في منشوره شبيهًا بالاستدراج الذي تَسْتَدْرِجُ به الثعالبُ ضحاياها، ويذكرنا على وجه الدقة بقصص الثعلب مع الديك

ومالكٍ الحزين في سرديةِ ابن المقفع الشهيرة، فنابليون يستدرج الشعب المصري إلى حظيرة الاحتلال من خلال هذا المنشور، وفيه الكثير من عناصر الاستمالة، وذلك بناء على أن "ذات الخطاب لا يمكنها أن تضع موقعا لها في مسرح التبادل الاجتماعي دون توظيف استراتيجيات التأثير"[22]، ولقد حقق منشور نابليون الإراغة التي تجلت في مجموعة من المظاهر، منها:

– إدراج المخاطبين (المصريين) في عالم الخطاب؛ تمهيدًا لتبنّيهم ما يقوله، ومن ذلك قوله في مفتتح الخطاب: " يعرف أهالي مصر جميعهم أن من جميع مديد الصناجق، الذين يتسلطون في البلاد المصرية، ويتعاملون بالذل والاحتقار في حق الملة الفرنساوية، ويظلمون تجارها بأنواع الإيذاء والتعدي، فحضر الآن ساعة عقوبتهم"[23] يبتدر نابليون مخاطبة المصريين بـ(أهالي مصر جميعهم) إرادة منه في دمج الجميع داخل الخطاب، واختار التعبير بـ(أهالي)؛ تقريظًا لهم، إذ توحي بقيمة الاستحقاق، فالمصريون هم أهل مصر والأحق بها، وشرع – كذلك– في تخصيص طبقة التجار في نهاية الفقرة بالخطاب؛ لأنهم الطبقة الأهم، التي يسعى نابليون إلى كسب ودها وتحييدها؛ إذ لو أن مقاومةً نشأتْ في وجه الحملة فلن يكون تمويلُها إلا من أموال هؤلاء التجار، كما أنه استغل الظلم الواقع عليهم من المماليك الذين تولوا حكم الصناجق(المديريات)؛ ليؤكد على تلك العداوة، التي بات الفرنساويون على علمٍ بها، هذا كله بالإضافة إلى أن (سردية) المنشور أحدثت استباقًا حين وضعت المماليك عدوًّا صريحًا لها، وذلك لتحقيق أمرين مهمين، الأول: التأكيد على أن الحملة ما جاءت إلا لمناصبة المماليك العداء. والثاني: التأكيد على المصير المشترك الذي يربط الحملة بالمصريين في مواجهة عدوٍّ واحدٍ هم المماليك.

– ومن عناصر الاستمالة – أيضا– أن نابليون ابنٌ بارٌّ للثورة الفرنسية، يؤمن بقيمها العلمانية، التي تتبرأ من الدين أيا كان الدين، ومن البَدِيهِيّ حين يَعِدُ المصريين بأنه إنما جاء ليبطش بالمماليك الظالمين أن يسند ذلك البطش إلى القوة العسكرية التي تترَّسَتْ بها حَمْلَتُه، لكنه هنا (يؤمن) فجأة بالقضاء والقدر، ويصير أشد إيمانًا بإرادة رب العالمين في زوال ملك المماليك عن مصر، يقول:" فأما رب العالمين القادر على كل شيء، فإنه قد حكم على انقضاء دولتهم"[24].

– ويعدُّ التبرير من أشكال الاستمالات المهمة، التي وظّفها نابليون في خطابه، وقد تردد في الخطاب بشكل يؤكد على أن صناعة المحتوى الكاذب كان هدفا صريحا لمنشئ المنشور(الخطاب)، لأن الحقيقة لا تحتاج إلى برهان اللهم إلا للتدعيم والتأكيد، وليس تبريرًا لأصل وجودها.

وقد تَرَافَقَ التبرير في المنشور مع الإثارة العاطفية، فقد ألَمَّ نابليون من خلال دراساته المسبقة الموسَّعة، وما نمى إليه من معلومات أن (الدِّين) هو الجانب الأول في حياة المصريين؛ لذلك ربط تبرير قدوم الحملة بهدف ديني منشود، يقول:" يا أيها المصريون قد قيل لكم إنني ما نزلتُ بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينِكم، فذلك كذبٌ صريح، فلا تُصدقوه، وقولوا للمفترين إنني ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين، وإنني أكثر من المماليك أعبد الله– سبحانه وتعالى– وأحترم نبيه والقرآن العظيم"[25].

سبقت الإشارة في هذا البحث إلى أن منشور نابليون كُتب أولا بالفرنسية ثم ترجَمَه مجموعةٌ من المستشرقين والعرب في جزيرة مالطة، وهو ما جعل ترجمة المنشور –على ركاكتها– لم تكن عملا خالصا للمستشرقين، وإنما أعانهم على ترجمته هؤلاء العرب، وذلك لأن المستشرق من الممكن أن يترجم فيذكر: (الله، القرآن) أما أن يردفهما بـ(سبحانه وتعالى، والقرآن العظيم) فهذا التقريظ اللغوي الديني لم يرد في الأصل الفرنسي، وإنما أضيف إلى الأصل العربي؛ ليقوم بدور تقريظيّ يحقق تلطيفًا واستمالة يُمهّدان للاحتيال والكذب[*]، وبالعودة إلى التبرير نجد أن نابليون يتحدث هنا بضمير المتكلم (قيل لكم إنني) وهذا التضخيم هو جزء من شخصية الانتهازيّ التي سبق تعداد صفاتها، وتتجلى هنا في (نرجسيته) المفرطة، فمجده العسكري يؤهله أن يختصر الحملة كلها في شخصه، لكنه في الوقت نفسه أراد أن يواجه مخاطبة المصريين بضمير الأنا؛ ليمرر أغراضه دون تجييش مشاعرهم ضد الحملة، خاصة أن للفرنسيين حملاتٍ سابقاتٍ جُوبهت بالردع من قِبل المصريين، وباءت في النهاية بالفشل.

ومن الواضح – أيضا– في هذا المقطع من المنشور أن نابليون يلعب على الوتر الدينيّ في اتجاهين، اتجاهٍ يُعلن فيه إسلامه وأنه يعبد الله ويحترم النبي والقرآن، ومن ثَمَّ يأتي الاتجاه الآخر متمثلًا في أنه جاء حاميًا لهذا الدين لا مزيلًا له، مُخْلِصًا في تخليص المصريين من الظلم الواقع عليهم؛ لأنه الآن يتشارك معهم دين الإسلام، الذي سرعان ما انكشف فكان مجرد إيديولوجيةٍ (دين الثعالب).

– ومن تمام الإراغة في إنشاء الخطاب أن نابليون ضمّنه مجموعةً من القرارات الإدارية، التي من شأنها أن تُظهر حرصه على تحقيق مصالح المصريين، مثل: المادة الرابعة من تعليماته، وقد نصّت على استمرار القضاة في مزاولة عملهم، وإقامة الصلوات في المساجد، وأن يلزم كل مواطنٍ منزله، وأن يبتهلوا إلى الله بالشكر أن نجّاهم من المماليك، وأمدهم بالفرنسيين إلى جانب السلطان العثماني؛ ليزيل ما وقع عليهم من ظلمٍ، كما أمر بضرورة رعاية ممتلكات المصريين في المديريات والأقسام فلا يصل منها شيءٌ إلى المماليك[26]، وبذلك يكون نابليون قد أتى في منشوره على مجمل آليات الإراغة، التي من شأنها أن تنشِئ خطابًا احتياليًّا.

(*) هذه الازدواجية في اختلاف المنشور في لغته الفرنسية عنه في نسخته المترجمة إلى العربية يمثل احتيالا على مستوى موسع، فالجنرال يخاطب المصريين بخطاب يخفي كثيرا من تفاصيله عن الفرنسيين، وهو ما يمثل احتيالا على أمته ووطنه، فقد حذف العبارات الأولى التي ابتدأ بها المنشور في نسخته العربية، التي فيها :"بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله، لا ولد له، ولا شريك في ملكه" وذلك لأنه يضاد مبادئ الثورة الفرنسية العلمانية، كما حذفت عبارات التقريظ الديني من النسخة الفرنسية أيضا. حول هذه الازدواجية وغيرها من شؤون الترجمة في الحملة، ينظر: الشيال، جمال الدين، تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2019م، يراجع الفصل الثاني الترجمة الرسمية في عهد الحملة، ص33-37.

(4) قناع الدين مدخلًا للاحتيال

إن من سمات الخطاب السياسيّ المائزة أنه: " ليس إمتاعيا يبغي اللذة الإبداعية، بل خطابٌ مصنوعٌ لأهداف سياسية جوهرها المصلحة والمنفعة"[27]، وقد شهد "خوان كول" باستخدام نابليون الدينَ قناعًا بقوله:" لم يتوقف بونابرت عن محاولاته لاستخدام البلاغة الإسلامية، بوصفها جزءًا من استراتيجية حكم مصر"[28] ومن مظاهر هذه الذرائعية في المنشور أن نابليون ألبسَ خطابَه كلَّه رداءَ الدين؛ إذ لم يقتصر على العزف على وتر السمت الديني عند المصريين وإثارة عواطفهم في هذا الجانب، بل أعلن إسلامه، وتسمَّى بـ(علي بونابرته)، وأخذ لقب حفيد النبي، وعبّر عن رغبة جنوده في اعتناق الإسلام، وأنه لا يوجد عائق أمام دخولهم في دين الله أفواجًا سوى أنهم غير مختونين، وكذلك إدمانهم على الخمر[29]، وليس أدل على ذلك من ابتداء منشوره بالبسملة وإعلان التوحيد:" بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله، لا ولد ولا شريك في ملكه..."[30]

وإذا كان هذا هو قول نابليون، فإن فعله كان أشد مكرًا واحتيالًا، فقد حكى الجبرتي أنه كان يجلس في الاحتفالات الدينية على الأرض، ورجال الأزهر من حوله على آرائكهم يتكئون، وكان يلبس العباءة والعمامة العربية، ويهز رأسه ذات اليمين وذات الشمال كأنه متأثر بما يتلون من آيات القرآن[31].

ولأنّ القناع لا يمكن أن يؤدي دوره في التزييف والتنكّر إلا إذا كان مُحكمًا على الوجه؛ فلذلك عمد نابليون إلى تثبيت هذه الصورة الدينية التي ارتداها في أقواله وأفعاله، فتوجه إلى رجال الدين من علماء الأزهر؛ فأغدق عليهم الهبات والعطايا، وأشركهم في شؤون الإدارة والحكم، واستبقى لهم التزاماتهم في القرى، ونِظَارتهم على الأوقاف، وأمر بأن يؤدي رجال الحرس شرف التحية العسكرية لهم بالسلاح، كما كانوا لا يتحركون إلا بالبغال في تنقلاتهم يحيطها الأتباع.[32]

وإذا تتبعنا ما ورد في المنشور من مظاهر الاحتيال بالدين، فمن الممكن أن نستشهد له بالآتي:

– استدعاء نابليون لما فعله في النصارى والبابوية في حربه على إيطاليا، وتخريبه جزيرة مالطة وطرد "الكوالرية"، وهم بقايا القديس يوحنا من الصليبيين، الذين مكثوا في فلسطين بعد الحملات الصليبية، وقد طردهم سلاطين المماليك فانتقلوا إلى جزيرة رودس، ثم طردهم العثمانيون من رودس ففروا إلى جزيرة مالطة، وتحالفوا مع الإسبان والبرتغال في مهاجمة أقطار المغرب العربي[33]، وقد سيطرت حملة نابليون وهي في طريقها إلى مصر على الجزيرة. يقول نابليون:" قولوا لأمتكم إن الفرنساوية هم أيضا مسلمون مخلصون، وإثبات ذلك أنهم قد نزلوا في رومية الكبرى، وخرّبوا فيها كرسي البابا، الذي كان دائما يحث النصارى على محاربة الإسلام، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكوالرية، الذين كانوا يزعمون أن الله– تعالى– يطلب منهم مقاتلة المسلمين"[34].

إن هذا القناع الديني الذي لا تُخطئه بصيرة، غاب عن بعض الباحثين، فأخذوا يرون في نابليون مسلمًا موحدًا صحيح الإسلام، ومن هؤلاء الباحث "عادل عبد الله القلقيلي" في بحثه الذي حمل عنوان: هل أسلم نابليون؟ يقول:"ونحن نستبعد على عظماء الرجال كمثل نابليون أن يكون فيما قاله عن عقيدته مُداهنا مُداجيا كذابا ومنافقا ينخلع من دينه، وينتحل غير ما في ضميره ويقينه"[35](*)، والحق أن بحثًا يحمل هذا العنوان، ثم يخرج بهذه النتيجة التي صيغت في قالبٍ لُغوي رنّان، جديرٌ بأن تُزال عنه صفةُ البحث.

ولا يمكن أن ندحض أي رأي يتبنى صحة إسلام نابليون في هذا الإطار إلا بما قاله نابليون نفسه عن استخدامه الدين قناعًا، يقول: " في مصر وجدتُ نفسي، وقد تحررت من قيود حضارة مُزعجة، ورأيتني أبتدعُ دينا، وأزحفُ على آسيا، وأنا أمتطي فيلا، وعلى رأسي عمامة، وفي يدي القرآن الجديد، الذي كنتُ سأؤلفه؛ ليلائمَ حاجاتي، وكنت سأجمع في مشروعاتي بين خبرات العالمين، وأُسخّر لمنفعتي مسرح التاريخ كله."[36]

وبذلك رسم نابليون لنفسه صورةَ أبرهة الحبشيّ؛ فتخيل نفسه يركب فيلًا، لكنه لم يتوجه إلى هدم الكعبة فقط، بل إلى هدم الإسلام برُمته، وَفق مشروعٍ ضخمٍ كان قد أعدّ له، لكنه فشل فشلًا ذريعًا، وظهر كذب ما ادعاه في زمنه، ومن ذلك ادعاؤه تعظيم القرآن هو وجنوده، فقد توقف الجبرتي عندها، وبيَّن أنَّ كل ما قيل عن تعظيمه وتعظيم جنوده للقرآن كذب، و" أنه قد شوهد الكثير منهم يتغوّط ويُمسك بأوراق المصحف، ويرميها ملطخةً في الطريق"[37]

ثانيا: المغالطات الحجاجية؛ استراتيجيةً للاحتيال

في محاورة السفسطائي اليوناني جورجياس لسقراط صرّح له بأن مَن بنى أثينا وموانئها هم أصحاب القول، لا أهل الصنائع[38]، في إشارة إلى أن للقول طرُقًا يحتال من خلالها صاحبه في تحقيق مكاسب لا تحققها الأفعال والصنائع. وتأسيسًا على ذلك فالسفسطة ضرب من التغليط والجدل، الذي يهدف إلى صناعة الخداع بالقول، وإذا كان الحجاج توظيفًا لمجموعة من الخطط والآليات التي تدفع المخاطبين للإذعان والتسليم، فإن المغالطات الحجاجية تضرب مبادئ المحاورة والحجاج في مقتلٍ، وتعرف بأنها:" استدلال فاسد أو غير صحيحٍ، يبدو كأنه صحيح؛ لأنه مقنعٌ سيكولوجيًّا، لا منطقيًّا، على الرغم مما به من غلطٍ مقصود"[39]، وبذلك تكون المغالطة حجاجًا هدفه التضليل المتَعَمَّد المقنع من الناحية السيكولوجية التي ينتهجها المغالِط دون الجانب المنطقي، كما أنها تكون متخفيةً تحتاج إلى تنقيبٍ عميق.

وإن أول ما اشتمل عليه خطاب نابليون من المغالطات أنه لم يمنح المخاطبين أية وسيلةٍ للحكم على صحة ما ورد فيه؛ ليخرق بذلك قواعد

(*) ومن الباحثين– أيضا– من رأى أن نابليون كان مسلما، ثم رده عن الإسلام تشدد رجال الأزهر وتعصبهم. الباحث: يوسف، أحمد: بونابرت في الشرق الإسلامي: القاهر المقهور، ترجمة أمل الصبان، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005.

التخاطب ومبادئه، ويعمد إلى التغليط والسفسطة، وصرف المخاطبين عن إدراك الحقيقة، وهو ما نرصده في النماذج الآتية:

1– مغالطة السلطة

تمثل السلطة حجةً جاهزةً يستدعي فيها الخطيبُ أعمال شخص أو مرجعٍ ما له من المصداقية ما يؤهله لأن يكون برهانًا منطقيًّا على صحة هذه الحجة، وتقع مغالطة السلطة حينما تقدم الفكرة أو القضية بلا سند سوى قائلها، وعلى الرغم من أن الفكرة قد تكون أحيانًا صائبةً إلا أن تقديم السلطة؛ لتكون بديلًا عن البيّنة يُعدُّ مغالطة[40]، ومما ورد من ذلك في خطاب نابليون ما سبق تناوله في سياق اتخاذ الدين قناعًا، ولسنا في حاجة إلى إعادته مرةً أخرى هنا، ولكن نابليون بنى المغالطة بالسلطة على هذا النحو:

– (أ) الفرنساوية خرّبوا كرسي البابا وطردوا الكوالرية، الذين حرضوا على قتل المسلمين.

– (ب) الفرنساوية بذلك يعملون لصالح الإسلام.

_ (ج) الفرنساوية مسلمون.

– (ن) إذن الفرنساوية مُرحَّبٌ بهم من قِبل المصريين، ولا تنبغي مجابهة حملتهم.

الاحتكام هنا إلى (الفرنساوية) بوصفهم سلطةً لها حُجيةٌ يعد استدلالًا فاسدًا (مغالطة)، لتعمّد منشئ الخطاب تزييف الحقائق؛ إذ إن جيوش فرنسا التي قادها نابليون لمهاجمة إيطاليا لم يكن غرضُها من ذلك –مطلقًا– خدمةَ المسلمين كما ادّعى، وإنما كان في المقام الأول إرساءً لهيمنة فرنسا في صراعها الأوروبيّ، وبناء عليه فلا يصح استخدام السلطة هنا برهانًا أو دليلًا، وقد مرر نابليون هذه المغالطة من خلال الإثارة النفسية التي لوّح فيها للعداء بين المسلمين والنصارى.

ومن مغالطة السلطة، أيضا، قوله :" الفرنساوية في كل وقت صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثماني، وأعداء أعدائه– أدام الله ملكه– ومع ذلك المماليك امتنعوا عن طاعة السلطان غير ممتثلين لأمره"[41]، وتُبنى هذه المغالطة وفق الشكل الآتي:

– (أ) الفرنساوية مخلصون للسلطان العثماني.

– (ب) المماليك خرجوا عن طاعة السلطان العثماني.

– (ج) الفرنساوية أعداء للمماليك.

– (ن) إذن: الفرنساوية تجِب طاعة حملتهم مع طاعة السلطان العثماني.

فقد عمد إلى تمرير قضية ولاء المصريين له ولحملته؛ مستغلا في ذلك كرههم للمماليك، وطاعتهم للسلطان العثماني، وهو البعد السيكولوجي، الذي يُعطى للمغالطة جواز المرور، ويكمن فساد هذه الحجة في أن سلطة العثمانين على مصر ليست شرعيةً، ومحبة الفرنساويين للعثمانيين ليست واقعًا صادقًا، ومن ثَمَّ فالربط بينهما يعد ضربًا من الخداع والاحتيال .

2– مغالطة القهر والاستبداد

وتعرف– أيضا– بمغالطة القوة[42]، لكننا آثرنا تعديل الاسم؛ لأن القوة تحمل قِيَمًا إيجابيةً، أما الاستبداد والقهر، فهو مشتملٌ على القوة ولكن في شكلها السلبيّ، وتتشكل المغالطةُ، هنا، من خلال قهر منشئ الخطاب للمخاطبين، بالمصادرة على رأيهم بالقهر والاستبداد، ودفعهم إلى الرضا بالأمر الواقع، ومن أبرز دلائل هذه المغالطة في منشور نابليون ما قدمه من تهديد للمصريين، يقول:" المادة الثانية: كلُّ قريةٍ تقوم على العسكر الفرنساويين تُحَرَّق بالنار"[43]وتتوجه هذه المغالطة إلى إثارة الذعر والخوف في قلوب المصريين؛ ليرضخوا للأمر الواقع، ولكي يجعلهم ينخرطون في تصديق الوعود الزائفة التي قدمها في الخطاب.

3– مغالطة التدليل الفاسد

وفيها يفشل منشئ الخطاب في إيراد الدليل القوي الذي ينهض بحجته إلى التصديق والإقناع، وقد يأتي بدليل ضعيف واهٍ، ومن ذلك الأخير ما ورد في المنشور في سياق الحديث عن اغتصاب المماليك لحكم مصر:" فإن كانت الأرض المصرية التزامًا للمماليك، فليرونا الحجة التي كتبها الله لهم"[44]، فلا شك أن مطالبة المماليك بأن يأتوا بالحجة (الصك) الذي كتبه الله لهم بحكم مصر إنما هو دليلٌ واهٍ ضعيف، ومع ضعفه يحمل فسادًا منطقيًّا ظاهرًا؛ إذ لو جاز مطالبة المماليك بإحضار صك حكمهم لمصر، فالأمر ذاته مطلوب من حملة نابليون، بل من قبل ذلك مطلوبٌ من السلطان العثماني!

ومن التدليل الفاسد أيضا عجز نابليون عن تبرير غزو حملته لمصر ببرهان صحيح، فعمد إلى إيراد دليل فاسد، ومن ذلك قوله في سياق التعبير عن ضرورة التخلص من المماليك:" فأما رب العالمين القادر على كل شيء، فقد حكم على انقضاء دولتهم"[45]؛ فنابليون يرى أنه مسخر لتنفيذ مشيئة الله في التخلص من المماليك، ومن ثَمَّ فهو يصادر على أن يكون للمصريين أي اعتراضٍ على هذه القضية؛ لكونها مشيئةَ الله الموكل إليه تنفيذها، وهو مدخل فيه إثارةٌ نفسيةٌ لفكرة القضاء والقدر عند المصريين ووجوب التسليم بها.

4– مغالطة ترك محاججة الخصم والعمل على الطعن فيه أو المبالغة في مدحه

وهي من أبرز صور المغالطات، التي اتكأ عليها منشور نابليون في تحقيق خطط الخداع والاحتيال، وتتعلق المغالطة بترك منشئ الخطاب محاججة خصمه، والاتجاه إلى الطعن فيه، وقد يكون على النقيض بكيل المدح والإطراء، وقد تحققت الاستراتيجيتان في الخطاب، فنابليون لا يتوجه مطلقا في خطابه إلى محاورة المماليك، وإنما ينقل كلامه الموجه إليهم عبر وسيط، يقول:" وقولوا للمفترين – يقصد المماليك–" فالوسيط هنا يتمثل في المصريين، كما وصف المماليك بأقذع الأوصاف:(يتسلطون، يفسدون في الإقليم، المفترين، الظالمين، بين المماليك والعقل والفضائل تضارب، ...)[46] وعلى الرغم من أن الصفات التي نسبها الخطاب للمماليك تُعَدُّ في مجملها واقعًا، فإن المغالطة تتعلق في إيرادها على لسان من لا حق له أصلًا في حكم مصر أو تملكها، ومن هنا تتحقق المغالطة.

أما المدح فقد وجهه نابليون إلى السلطة العثمانية، وهو امتداح زائف تَرَكَّزَ الغرض منه على تحييد العثمانيين، وتأجيل المواجهة المباشرة معهم؛ حتى

يتخلّصَ نابليون وحملته من المماليك، ومن الصفات التي قرّظ بها السلطان العثماني:(الفرنساوية مخلصون لحضرة السلطان العثماني، السلطان العثماني محبنا دام بقاؤه، أدام الله إجلال السلطان العثماني...) [47] وكلها تحاول أن تُبدّد مخاوف السلطان العثماني من مجيء الحملة، من خلال عبارات المدح والثناء.

5– مغالطة التهوين

ويُطلق عليها، أيضا، مغالطة رجل القش، وتقوم على "تهوين الرأي بتهوين قائله"[48]، ويمثل هذه المغالطة ما ورد على لسان نابليون ناقلًا عن المماليك قولهم:" يا أيها المصريون قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، فذلك كذب صريح"[49] وبدا التهوين من خلال اختيار الفعل المبني لما لم يسم فاعله (قيل)؛ الذي يُشتم منه دلالة تحقير المماليك بالإعراض عن ذكرهم صراحة، إلى جانب دلالته على التكذيب، وهو ما أثبته في قوله: (فذلك كذب صريح)، وهو تعميق للمغالطة؛ إذ إنه يُصادر حق المصريين في قبول هذا الحكم أو رفضه.

6– مغالطة المآل

وفي هذه المغالطة يُلتمس صدق القضية أو كذبها بمجرد النظر إلى النتيجة المترتبة عليها، فإن كانت نتيجةً حسنةً قُبلت الفكرة، وإن كانت سيئةً رفضت[50]، ومن ذلك سفسطة نابليون في التمهيد لغزوه بما ستؤول إليه الأمور بعد سيطرة الحملة على مصر، يقول مُمنّيا المصريين بمآلهم :" ولكن بعون الله–تعالى– من الآن فصاعدا لا ييأس أحد من أهالي مصر عن الدخول في المناصب السامية، وعن اكتساب المراتب العالية، فالعلماء والفضلاء والعقلاء بينهم سيدبرون الأمور، وبذلك يصلح حال الأمة"[51] فقد رسم نابليون مآلًا مشرقًا لحال المصريين بعد نجاح الحملة في السيطرة على مقاليد الأمور، ورافق التعبير عن هذا المآل مجموعة من الاستثارات النفسية، فقد استخدم التعبير(بعون الله)؛ ليضفي على عمله شرعية، فهو مؤيدٌ بعون الله فيما يفعل، كما استخدم التقريظ الديني (تعالى) بعد لفظ الجلالة؛ ليُظهر احترامه وتقديسه للدين الإسلامي، وعبر بمكر عن أن هذه الحال التي سيكون فيها المصريون في المستقبل إنما هي بفضل العلماء والفضلاء والعقلاء، وأخفى أي ذكر لأي عملٍ عسكريّ فرنسيّ من شأنه أن يتدخل في استحقاق المصريين لهذا المآل من رغد العيش.

وبهذه المغالطة يكون البحث قد عكف على رصد مجمل استراتيجيات الاحتيال، وهي استراتيجيات بُنيت في المنشور عن عمد في إنشائها وصناعة السياق الاحتيالي الممهد لها، كما أنها وصفت بسخفٍ ظاهرٍ، وربما هذا السخف جاء من وراء ما اتصفت به شخصية نابليون، التي قال عنها "خوان كول" : " وجدير بالذكر أن بونابرت معروف بصفة سخيفة تجعله يصدق ما يردد من دعايات كاذبة"[52]، ولعل هذا السخف الواضح في مجموعة المغالطات التي عرضنا لها آلت بنابليون ومنشوره إلى فشل ذريع؛ إذ غادر مصر ولم يسيطر عليها، ولم تخضع له عكا، ومُني أسطوله بهزيمةٍ نكراء في معركة أبي قير من الأسطول الانجليزي، ولم يتمكن من سحق المماليك كما وعد، كما عزّ عليه التخلص من المقاومة المصرية.

وفي الوقت نفسه، فإننا لا ننفي أن خطابه هذا وجد من تمَاهَى معه، وقد كان له أثرٌ في استلاب كثير من عقول علماء الأزهر ببريق الدين الخادع الذي روّج له.

ملحق: نص المنشور كما أورده الجبرتي

"بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله، لا ولد له، ولا شريك في ملكه، من طَرَف الفرنساوية المبني على أساس الحرية والتسوية، السر عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنساوية بونابرته. يعرف أهالي مصر جميعهم أن من زمان مديد الصناجق الذين يتسلطون في البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار في حق الملة الفرنساوية، ويظلمون تجارها بأنواع الإيذاء والتعدي، فحضر الآن ساعة عقوبتهم، وأخّرنا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة، المماليك المجلوبين من جبال الإبازا والجراكسة يفسدون في الإقليم الحسن الأحسن، الذي لا يُوجد في كرة الأرض كلها. فأما رب العالمين القادر على كل شيء فإنه قد حكم على انقضاء دولتهم.

يا أيها المصريون! قد قيل لكم: إنني ما نزلتُ في هذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم. فذلك كذب صريح، فلا تصدِّقوه. وقولوا للمفترين إنني ما قدمتُ إليكم إلا لأُخلِّص حقكم من يد الظالمين، وإنني أكثر من المماليك أعبد الله – سبحانه وتعالى–، وأحترم نبيه والقرآن العظيم. وقولوا أيضًا لهم: إن جميع الناس متساوون عند الله، وإن الشيء الذي يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط. وبين المماليك والعقل والفضائل تضارب. فماذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبوا أن يتملكوا مصر وحدهم، ويختصوا بكل شيء أحسن فيها من الجواري الحسان والخيل العتاق والمساكن المفرحة؟! فإن كانت الأرض المصرية التزاما للمماليك، فليرونا الحجة التي كتبها الله لهم. ولكن رب العالمين رؤوف وعادل وحليم. ولكن بعونه تعالى من الآن فصاعدًا لا ييأس أحد من أهالي مصر عن الدخول في المناصب السامية، وعن اكتساب المراتب العالية. فالعقلاء والفضلاء والعلماء بينهم سيدبرون الأمور، وبذلك يصلح حال الأُمَّة كلها. وسابقًا كان في الأرض المصرية المدن العظيمة، والخلجان الواسعة، والمتجر المتكاثر، وما أزال ذلك كله إلا الطمع والظلم من المماليك.

أيها المشايخ والقضاة والأئمة والشوربجية وأعيان البلد قولوا لأمتكم: إن الفرنساوية هم أيضا مسلمون مخلصون، وإثبات ذلك أنهم قد نزلوا في رومية الكبرى، وخربوا فيها كرسي البابا، الذي كان دائما يحث النصارى على محاربة الإسلام، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكوالرية، الذين كانوا يزعمون أن الله –تعالى– يطلب منهم مقاتلة المسلمين، ومع ذلك فالفرنساوية مع كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثماني، وأعداء أعدائه أدام الله ملكه، ومع ذلك أن المماليك امتنعوا عن طاعة السلطان، غير ممتثلين لأمره، فما أطاعوا أصلا إلا لطمع أنفسهم، طوبى ثم طوبى لأهالي مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير، فيصلح حالهم، وتعلى مراتبهم، طوبى أيضا للذين يقعدون في مساكنهم غير مائلين لأحد من الفريقين المتحاربين، فإذا عرفونا بالأكثر تسارعوا إلينا بكل قلب،

لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون على المماليك في محاربتنا، فلا يجدون بعد ذلك طريقا إلى الخلاص، ولا يبقى منهم أثر.

المادة الأولى: جميع القرى الواقعة في دائرة قريبة بثلاث ساعات عن المواضع التي يمر بها عسكر الفرنساوية، فواجب عليها أن ترسل للسر عسكر من عندها وكلاء؛ كيما يعرف المشار إليه أنهم أطاعوا، وأنهم نصبوا علم الفرنساوية، الذي هو أبيض وكحلي وأحمر.

المادة الثانية: كل قرية تقوم على العسكر الفرنساوي تحرق بالنار.

المادة الثالثة: كل قرية تطيع العسكر الفرنساوي- أيضا- تنصب صنجاق السلطان العثماني محبنا دام بقاؤه.

المادة الرابعة: المشايخ في كل بلد يختمون حالا الأرزاق والبيوت والأملاك، التي تتبع المماليك، وعليهم الاجتهاد التام لئلا يضيع أدنى شيء منها.

المادة الخامسة: الواجب على المشايخ والعلماء والقضاة والأئمة أنهم يلازمون وظائفهم، وعلى كل أحد من أهالي البلدان، أن يبقى في مسكنه مطمئنا، وكذلك تكون الصلاة قائمة في الجوامع على العادة، والمصريون بأجمعهم ينبغي أن يشكروا الله سبحانه وتعالى؛ لانقضاء دولة المماليك، قائلين بصوت عال أدام الله إجلال السلطان العثماني، أدام الله إجلال العسكر الفرنساوي، لعن الله المماليك، وأصلح حال الأمة المصرية .

تحريرا بمُعسكر إسكندرية في 13 شهر سيدور سنة 6 من إقامة الجمهور الفرنساوي يعني في آخر شهر محرم سنة 1213 هجرية.

انتهى بحروفه." (53)

الخاتمة ونتائج البحث:

اختار هذا البحث خطابًا مُهمًّا من الخطابات التاريخية المؤثرة، ليس في تاريخ مصر فقط، بل في تاريخ العرب عامةً والشرق الأوسط خاصةً، وهو منشور نابليون الأول للمصريين إبّان حملته الفرنسية، ولم يكن هذا التناول بغرض الكشف عن الاحتيال فيه، وإنما بهدف تحديد استراتيجيات هذا الاحتيال؛ لأن ظهور الاحتيال في الخطاب أمرٌ مفروغٌ منه، ظاهرٌ بالقوة لكل من امتلك بصيرة، ومؤكدٌ بالوثائق التاريخية الصحيحة.

ولقد كان مسلك البحث في الكشف عن هذه الاستراتيجيات معتمدًا على منهجية تحليل الخطاب، لما لها من شموليةٍ تسهم في تفكيكه وإعادة اكتشاف أجزائه، مستعينين في ذلك بمجموعة من الإجراءات المكملة من الدرس الحجاجيّ والتداوليّ في الكشف عن المسكوت عنه، فتناولنا في مطلبين السياق واستراتيجيات الاحتيال المنشِئة للخطاب، كما تناولنا المغالطات الحجاجية بوصفها استراتيجيةً للحجاج الفاسد والتغليط في المنشور.

وَوَفق ما أنجزه البحث من تحليل، فإننا نوجز النتائج التي خرج بها في الآتي:

-تجب العناية بالكشف عن طرق التزييف في الخطابات التاريخية الكبرى؛ لكونها أهم في التبصر بمآلات التاريخ؛ وذلك رغبة في تحرير العقول من احتلال أصحاب المحتوى الكلاميّ الكاذب.

-امتلك نابليون مجموعة من المؤهلات النفسية مكنته من صياغة مسالك الاحتيال والتزييف في منشوره، ولعل من أظهر صفاته في هذا الجانب، أنه: انتهازيٌّ، مخادعٌ، متسلقٌ، نرجسيٌّ...، وكان يسعى من خلال حملته هذه إلى تحقيق مجدٍ شخصيٍّ.

-يُعدُّ الدِّينُ واستخدام نابليون له بوصفه قناعًا استتر خلفه من أجل تحقيق ما كان يصبو إليه- هو أهمَّ استرتيجيةٍ من استراتيجيات الاحتيال في الخطاب.

-جاء قناع الدِّين موظَّفًا بشكلٍ متكررٍ، في الأقوال داخل المنشور، وفي الأفعال التي نقلتها لنا الوثائق والكتب التاريخية، مما يدلل على وجود بُعدٍ تداوليّ مهمٍّ يتمثل في أن نابليون كان على معرفةٍ تامةٍ موسّعةٍ بكل ما أحاط بالمصريين قبل توجهه إلى غزوهم.

-خرَق منشور نابليون كل مبادئ التحاور والتخاطب، وعمد إلى المغالطات؛ لعدم قدرته على البرهنة الصحيحة، والقياس المنطقي السديد.

-كل المغالطات الموظفة داخل المنشور من الحجاج الفاسد، وقد وُظِّفَتْ له الإثارة العاطفية والنفسية لتمريره عند المصريين.

-احتلت الاستمالات والتقريظات والتبريرات مكانة مهمة في تحقيق الإراغة والخداع داخل الخطاب .

-عكست المغالطات الحجاجية ضعفا ظاهرا لقدرة منشئ الخطاب على تدعيم خطابه بالبراهين والأدلة، فمالَ إلى توظيف مغالطات السلطة، والتهوين، والمآل، والطعن، والقهر أو القوة، والتدليل الفاسد؛ لتكون جميعها دليلا على فشل الخطاب في تحقيق وظائفه، وتعمد الاحتيال.

وأخيرا، يوصي البحث بصلاحية المنشور الثاني، الذي وجّهه "نابليون" للمصريين خلال أحداث الحملة، وأورده الجبرتي في تاريخه- للدراسة وَفق منهج تحليل الخطاب.

ولله الحمد أولًا وآخرًا

قائمة المراجع:

(مرتبة حسب ورودها في البحث)

(1) المتوكل، أحمد: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط، ط1، 2001، ص19.

(2) كول، خوان : مصر تحت حكم بونابرت، غزو الشرق الأوسط، ترجمة: مصطفى رياض، مراجعة وتقديم أحمد زكريا الشلق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، العدد (2100)، ط1، 2013م، ص275.

(3)كول، خوان: مصر تحت حكم بونابرت، غزو الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص41- 46 .

(4) فرج، محمد: النضال الشعبي ضد الحملة الفرنسية، الدار القومية للطباعة النشر، الإسكندرية، د.ط، د.ت، ص11.

(5) بعلبكي، رمزي: معجم المصطلحات اللغوية، بدون ناشر، بيروت، د.ط، 1990م، ص119

(6) عويضه، كامل محمد محمد: علم نفس النمو، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1996م، ص4.

(7) مكيافيللي، نيقولا: كتاب الأمير، ترجمة محمد مختار البرقوقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000م. ص21-45.

(8) شقير، زينب محمود أبو العينين: بطارية تشخيص المكيافيللية "الوصولية الانتهازية" في البيئة العربية "مصرية-سعودية": المظاهر-الأبعاد- الخصائص – الدوافع، مجلة إبداعات تربوية، تصدر عن رابطة التربويين العرب بمصر، العدد (19)، أكتوبر، 2021، صص(114-120)، ص117.

(9) صفا، محمد أسد الله: نابليون بونابرت، دار النفائس، بيروت، 1988، ص13، 14.

(10) ليفيير، جورج: عصر الثورة الفرنسية، ترجمة جلال يحيى، دار الكتب الجامعية، القاهرة، 1970، ص562.

(11) ينظر: أبو شبكة، إلياس: تاريخ نابليون بونابرت، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م، ص12،11.

(12) ينظر: هيرلود، ج. كريستوفر: بونابرت في مصر، ترجمة: فؤاد أندراوس، مراجعة محمد أنيس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986م، ص92.

(13) عبد اللطيف، عماد: إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي، تطبيقا على خطب حادثة السقيفة، مجلة الخطاب مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، ع14، مارس 2013م، صص (187-216)، ص198.

(14) الجبرتي، عبد الرحمن: عجائب الآثار، 4/3.

(15) هيرلود، ج. كريستوفر: بونابرت في مصر، مرجع سابق، ص194.

(16) بالنسبة للمرجع رقم 16، يرجى الرجوع إلى قائمة المراجع باللغة الإنجليزية.

(17) هيرلود، ج. كريستوفر : بونابرت في مصر، مرجع سابق، ص92.

(18) فان دايك، تون: الخطاب والسلطة، ترجمة غيداء العلي، تقديم عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، القاعهرة، العدد (2419، ط1، 2014، ص84.

(19) خياطي، عثمان: الخطاب السياسي: إستراتيجيات الإقناع، مختبر اللغة والمجتمع والخطاب – كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر بأكادير المغرب، 2016م، الصفحات (111 – 126)، ص125.

(20) المسلوت، صالح حسن: مدخل إلى دراسة الوثائق التاريخية، نماذج وثائقية من تاريخ العرب الحديث والمعاصر، الناشر مكتبة الرشد، الرياض، 2010م، ص49.

(21) أسيداه، محمد ، حافيظ إسماعيلي علوي: الإراغة في التواصل السياسي: آليات الحوار واستراتيجية الحجاج والمغالطة، مجلة علامات- سعيد بنكراد، مجلة ثقافية محكمة تصدر في المغرب، ع(17)، 2007، صص (136-141)، ص139.

(22) خياطي، عثمان: الخطاب السياسي، استراتيجيات الإقناع، ص116.

(23) الجبرتي، عبد الرحمن: عجائب الآثار، 4/3.

(24) الجبرتي، عبد الرحمن: عجائب الآثار، 4/3.

(25) الجبرتي، عبد الرحمن: عجائب الآثار ، 4/3.

(26) الجبرتي، عبد الرحمن: عجائب الآثار، 4/3، 5.

(27) عكاشة، محمود: لغة الخطاب السياسي، دراسة لغويّة تطبيقيّة في ضوء نظريّة الاتصال، دار النشر للجامعات، مصر، ط 1، 2005م، ص62.

(28) كول، خوان : مصر تحت حكم بونابرت، غزو الشرق الأوسط، ص279.

(29)كول، خوان : مصر تحت حكم بونابرت، غزو الشرق الأوسط، ص273.
وكذلك يراجع: سوليه، روبيرت: ولع فرنسي، ترجمة لطيفة فرج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م، ص35-44.

(30) الجبرتي، عبد الرحمن: عجائب الآثار، 4/3.

(31) الجبرتي، عبد الرحمن: عجائب الآثار ، 15/3.

(32) يراجع: الجبرتي، عبد الرحمن: الجزء (3)، الصفحات من 15-20.

(33) يراجع: هدهود، ناجي عبد الباسط: منشور نابليون بونابرت للمصريين عام 1798م، سبق توثيقه، ينظر الهامش رقم (7)، ص675.

(34) الجبرتي، عبد الرحمن: عجائب الآثار، 5/3.

(35) القلقيلي، عادل عبد الله: هل اعتنق نابليون الإسلام؟، مجلة هدي الإسلام، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، القدس فلسطين، مج(5)، ع(5)، تشرين الأول 1960م، صص(4608-4613)، ص4609.

(36) يوسف، أحمد: الولع الفرنسي بمصر من الحلم إلى المشروع، مع المخطوط السري لغزو مصر، النص غير المنشور الذي قدمه ليبتنيز للويس الرابع عشر، ترجمة أمل الصبان، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، العدد (520)، ط1، 2003، ص50.

(37) الجبرتي، عبد الرحمن: عجائب الآثار، 31/3.

(38) يُنظر:عبد اللطيف، عادل : بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، ط1، الرباط،2013، ص29.

(39) علوي، حافظ إسماعيلي، ومحمد اسيداه: اللسانيات والحجاج. الحجاج المغالط. نحو مقاربة لسانية وظيفية، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، تنسيق: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، الجزء الثالث، 2010، ص272.

(40) يُراجع: مصطفى، عادل : المغالطات المنطقية، طبيعتنا الثانية وخبزنا اليومي، المجلس الأعلى للثقافة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2007، ص85.

(41) النويري، محمد: الأساليب المغالطية، مدخلا في نقد الحجاج، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في النظريات الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، منوبة، تونس، 1998م، ص426.

(42) الجبرتي، عبد الرحمن: عجائب الآثار، 5/3.

(43) الجبرتي، عبد الرحمن: عجائب الآثار ، 5/3.

(44) الجبرتي، عبد الرحمن: عجائب الآثار ، 4/3.

(45) الجبرتي، عبد الرحمن: عجائب الآثار، 4/3.

(46)الجبرتي، عبد الرحمن: عجائب الآثار ، 3/ ص4، و5.

(47) الجبرتي: عجائب الآثار، 3/ص4، و5.

(48) صديقي، عبد الوهاب: الحجاج والمغالطة في الخطاب السياسي المغربي المعاصر، أعمال ندوة قراءات في الخطاب السياسي، مؤتمر(1)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر بأكادير- المغرب، 2016م، صص(309-349)، الاقتباس ص327.

(49) الجبرتي، عبد الرحمن: عجائب الآثار ، 4/3

(50) يراجع، الراضي، رشيد: الحجاج والمغالطة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط1، 2010م، ص26.

(51) الجبرتي، عبد الرحمن: عجائب الآثار، 4/3.

(52)كول، خوان: مصر تحت حكم بونابرت، سبق توثيقه، ص277.

(53) الجبرتي، عبد الرحمن: عجائب الآثار ، 4/3-6.

References

(1) al-Mutawakkil, Aḥmad : Qaḍāyā al-lughah al-ʻArabīyah fī al-lisānīyāt al-waẓīfīyah, Binyat al-khiṭāb min al-jumlah ilá al-naṣṣ, Dār al-Amān, al-Rabāṭ, Ṭ1, 2001, ṣ19.

(2) Cole, Khwān : Miṣr taḥta ḥukm bwnābrt, ghazw al-Sharq al-Awsaṭ, tarjamat : Muṣṭafá Riyāḍ, murāja'at wa-taqdīm

(21) Asydāh, Muḥammad, Ḥāfīẓ Ismā‘īlī ‘Alawī : al’rāghh fī al-tawāṣul al-siyāsī : ālīyāt al-Ḥiwār wa-istirātījīyat al-Ḥajjāj wa-al-mughālaṭah, Majallat ‘lāmāt-Sa‘īd Bingarād, Majallat thaqāfīyah Maḥkamat taṣdur fī al-Maghrib, ‘A (17), 2007, ṣṣ (136-141), ṣ139.
(22) Khayyāṭī, ‘Uthmān : al-khiṭāb al-siyāsī, Istirātījīyāt al-Iqnā‘, ṣ116.
(23) al-Jabartī, ‘Abd al-Raḥmān : ‘Ajā’ib al-Āthār, 3/4.
(24) al-Jabartī, ‘Abd al-Raḥmān : ‘Ajā’ib al-Āthār, 3/4.
(25) al-Jabartī, ‘Abd al-Raḥmān : ‘Ajā’ib al-Āthār, 3/4.
(26) Yanẓur : al-Jabartī, ‘Abd al-Raḥmān : ‘Ajā’ib al-Āthār, 3/4, 5.
(27) ‘Ukāshah, Maḥmūd : Lughat al-khiṭāb al-siyāsī, dirāsah lghwyyh ṭṭbyqyyh fī ḍaw’ nẓryyh al-ittiṣāl, Dār al-Nashr lil-Jāmi‘āt, Miṣr, Ṭ 1, 2005m, ṣ62.
(28) Cole, Khwān : Miṣr taḥta ḥukm bwnābrt, ghazw al-Sharq al-Awsaṭ, ṣ279.
(29) Yanẓur : Cole, Khwān : Miṣr taḥta ḥukm bwnābrt, ghazw al-Sharq al-Awsaṭ, ṣ273. wa-ka-dhalika yrāj‘ :, swlyh, rwbyrt : wl‘ Faransī, tarjamat Laṭīfah Faraj, al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb, 1999M, ṣ35-44.
(30) al-Jabartī, ‘Abd al-Raḥmān : ‘Ajā’ib al-Āthār, 3/4.
(31) Yrāj‘ : al-sābiq, 3/15.
(32) Yrāj‘ : al-Jabartī, ‘Abd al-Raḥmān : al-juz’ (3), al-Ṣafaḥāt min 20-15.
(33) Yrāj‘ : Had’hūd, Nājī ‘Abd al-Bāsiṭ : manshūr Nābuliyūn bwnābrt lil-Miṣrīyīn ‘ām 1798m, sabaqa tawthīqih, yanẓur al-hāmish raqm (7), ṣ675.
(34) al-Jabartī, ‘Abd al-Raḥmān : ‘Ajā’ib al-Āthār, 3/5.
(35) al-Qalqīlī, ‘Ādil ‘Abd Allāh : Hal a‘tnq Nābuliyūn al-Islām?, Majallat Hudá al-Islām, taṣdur ‘an Wizārat al-Awqāf wa-al-Shu’ūn wa-al-Muqaddasāt al-Islāmīyah, al-Quds Filasṭīn, Majj (5), ‘A (5), Tishrīn al-Awwal 1960M, ṣṣ (4608-4613), ṣ4609.
(36) Yūsuf, Aḥmad : al-wala‘ al-Faransī bi-Miṣr min al-ḥulm ilá al-mashrū‘, ma‘a al-makhṭūṭ al-sirrī li-ghazw Miṣr, al-naṣṣ ghayr al-manshūr alladhī qaddamahu lybtnyz li-Luwīs al-rābi‘ ‘ashar, tarjamat Amal al-Ṣabbān, al-mashrū‘ al-Qawmī lil-Tarjamah, al-Majlis al-A‘lá lil-Thaqāfah, al-Qāhirah, al-‘adad (520), Ṭ1, 2003, ṣ50.
(37) al-Jabartī, ‘Abd al-Raḥmān : ‘Ajā’ib al-Āthār, 3/31.
(38) yunẓr : ‘Abd al-Laṭīf, ‘Ādil : Balāghat al-Iqnā‘ fī al-Munāẓarah, Dār al-Amān, Ṭ1, al-Rabāṭ, 2013, ṣ29.
(39) ‘Alawī, Ḥāfiẓ Ismā‘īlī, wa-Muḥammad asydāh : al-lisānīyāt wa-al-ḥijāj. al-Ḥajjāj almghālṭ. Naḥwa muqārabah lisānīyah waẓīfīyah, ḍimna Kitāb al-Ḥajjāj mafhūmuhu wa-majālātuh, tansīq : Ḥāfiẓ Ismā‘īlī ‘Alawī, ‘Ālam al-Kutub al-ḥadīth, al-Urdun, al-juz’ al-thālith, 2010, ṣ272.
(40) Yurāj‘ : Muṣṭafá, ‘Ādil : almghālṭāt al-manṭiqīyah, ṭby‘tnā al-thāniyah wkhbznā al-yawmī, al-Majlis al-A‘lá lil-Thaqāfah, al-Markaz al-Qawmī lil-Tarjamah, al-Qāhirah, Ṭ1, 2007, ṣ85.
(41) al-Nuwayrī, Muḥammad : al-asālīb almghālṭyh, mdkhlā fī Naqd al-Ḥajjāj, ḍimna Kitāb ahamm naẓarīyāt al-Ḥajjāj fī al-naẓarīyāt al-Gharbīyah min Arisṭū ilá al-yawm, ishrāf Ḥammādī Ṣammūd, Manūbah, Tūnis, 1998M, ṣ426.
(42) al-Jabartī, ‘Abd al-Raḥmān : ‘Ajā’ib al-Āthār, 3/5.
Aḥmad Zakarīyā al-Shalaq, al-Markaz al-Qawmī lil-Tarjamah, al-Qāhirah, al-‘adad (2100), Ṭ1, 2013m, ṣ275.
(3) Yanẓur : Cole, Khwān : Miṣr taḥta ḥukm bwnābrt, ghazw al-Sharq al-Awsaṭ, marji‘ sābiq, ṣ41-46.
(4) Yanẓur : Faraj, Muḥammad : al-niḍāl al-sha‘bī ḍidda al-ḥamlah al-Faransīyah, al-Dār al-Qawmīyah lil-Ṭibā‘ah al-Nashr, al-Iskandarīyah, D. Ṭ, D. t, ṣ11.
(5) Ba‘labakkī, Ramzī : Mu‘jam al-muṣṭalaḥāt al-lughawīyah, bi-dūn Nāshir, Bayrūt, D. Ṭ, 1990m, ṣ119
(6) ‘Uwayḍah, Kāmil Muḥammad Muḥammad : ‘ilm nafs al-numūw, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt, D. Ṭ, 1996m, ṣ4.
(7) Mkyāfylly, Nīqūlā : Kitāb al-Amīr, tarjamat Muḥammad Mukhtār al-Barqūqī, al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb, al-Qāhirah, 2000M. ṣ21-45.
(8) Shuqayr, Zaynab Maḥmūd Abū al-‘Aynayn : bṭāryh tashkhīṣ almkyāfyllyh "alwṣwlyh alānthāzyh" fī al-bī’ah al-‘Arabīyah "mṣryt-s‘wdyh" : almẓāhr-āl’b‘ād-al-Khaṣā’iṣ – al-dawāfi‘, Majallat Ibdā‘āt tarbawīyah, taṣdur ‘an Rābiṭat al-Tarbawīyīn al-‘Arab bi-Miṣr, al-‘adad (19), Uktūbir, 2021, ṣṣ (114-120), ṣ117.
(9) yanẓur : Ṣafā, Muḥammad Asad Allāh : Nābuliyūn bwnābrt, Dār al-Nafā’is, Bayrūt, 1988, ṣ13, 14.
(10) lyfyyr, Jūrj : ‘aṣr al-thawrah al-Faransīyah, tarjamat Jalāl Yaḥyá, Dār al-Kutub al-Jāmi‘īyah, al-Qāhirah, 1970, ṣ562.
(11) Yanẓur : Abū Shabakah, Ilyās : Tārīkh Nābuliyūn bwnābrt, Dār Ṣādir, Bayrūt, ṭ2, 1995m, ṣ11, 12.
(12) yanẓur : hyrlwd, J. krystwfr : bwnābrt fī Miṣr, tarjamat : Fu’ād Andrāwus, murāja‘at Muḥammad Anīs, al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb, al-Qāhirah, 1986m, ṣ92.
(13) ‘Abd al-Laṭīf, ‘Imād : iṭār muqtaraḥ li-taḥlīl al-khiṭāb al-turāthī, ṭṭbyqā ‘alá khuṭab ḥādithat al-saqīfah, Majallat al-khiṭāb Makhbar taḥlīl al-khiṭāb, Jāmi‘at Mawlūd Mu‘ammarī Tīzī Wuzū, al-Jazā’ir, ‘14, Mārs 2013m, ṣṣ (187-216), ṣ198.
(14) al-Jabartī, ‘Abd al-Raḥmān : ‘Ajā’ib al-Āthār, 3/4.
(15) Hyrlwd, J. krystwfr : bwnābrt fī Miṣr, marji‘ sābiq, ṣ194.
(16) Linell, per. " Recontextualizing Non-Bakhtinian Theories of Language: a Bakhtinian Analysis. ." Bakhtinian Perspectives on Language and Culture, edited by Finn Bostad et al. London: Palgrave Macmillan,2004, pp. 114-132.
(17) Yanẓur : hyrlwd, J. krystwfr : bwnābrt fī Miṣr, marji‘ sābiq, ṣ92.
(18) Fān dāyk, twyn : al-khiṭāb wa-al-sulṭah, tarjamat Ghaydā’ al-‘Alī, taqdīm ‘Imād ‘Abd al-Laṭīf, al-Markaz al-Qawmī lil-Tarjamah, alqā‘hrh, al-‘adad (2419, Ṭ1, 2014, ṣ84.
(19) Yanẓur : Khayyāṭī, ‘Uthmān : al-khiṭāb al-siyāsī : Istirātījīyāt al-Iqnā‘, Mukhtabar al-lughah wa-al-mujtama‘ wa-al-khiṭāb-Kullīyat al-Ādāb wa-al-‘Ulūm al-Insānīyah, Jāmi‘at Ibn Zahr bi-Akādīr al-Maghrib, 2016m, al-Ṣafaḥāt (111-126), ṣ125.
(20) al-Maslūt, Ṣāliḥ Ḥasan : madkhal ilá dirāsah al-wathā’iq al-tārīkhīyah, namādhij wathā’iqīyah min Tārīkh al-‘Arab al-ḥadīth wa-al-mu‘āṣir, al-Nāshir Maktabat al-Rushd, al-Riyāḍ, 2010m, ṣ49.

(43) al-sābiq : ‘Ajā’ib al-Āthār, 3/5.
(44) nafsih : ‘Ajā’ib al-Āthār, 3/4.
(45) al-Jabartī, ‘Abd al-Raḥmān : ‘Ajā’ib al-Āthār, 3/4.
(46) al-sābiq : 3 / ṣ4, wa-5.
(47) al-Jabartī : ‘Ajā’ib al-Āthār, 3 / ṣ4, wa-5.
(48) Ṣiddīqī, ‘Abd al-Wahhāb : al-Ḥajjāj wa-al-mughālaṭah fī al-khiṭāb al-siyāsī al-Maghribī al-mu‘āṣir, a‘māl Nadwat qirā’āt fī al-khiṭāb al-siyāsī, Mu’tamar (1), Kullīyat al-Ādāb wa-al-‘Ulūm al-Insānīyah, Jāmi‘at Ibn Zahr b’kādyr-al-Maghrib, 2016m, ṣṣ (309-349), al-iqtibās ṣ327.
(49) al-Jabartī : ‘Ajā’ib al-Āthār, 3/4
(50) yrāj‘, al-Rāḍī, Rashīd : al-Ḥajjāj wa-al-mughālaṭah, Dār al-Kitāb al-jadīd al-Muttaḥidah, Bayrūt Lubnān, Ṭ1, 2010m, ṣ26.
(51) al-Jabartī, ‘Abd al-Raḥmān : ‘Ajā’ib al-Āthār, 3/4.
(52) Cole, Khwān : Miṣr taḥta ḥukm bwnābrt, sabaqa taw-thīqih, ṣ277.
(53) al-Jabartī : ‘Ajā’ib al-Āthār, 3/4-6.